

سورة الأنفال

٣٢- قوله تعالى : ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ﴾ (١١)

القراءة : اختلف القراء في قوله تعالى : ﴿لِلسَّلْمِ﴾ فقرأ عاصم في رواية أبي بكر بكسر السين وتشديدها ، وفتحها الباقون^(١) ، وروى عبد الرحمن بن أبيزي أن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قرأ " السَّلْم " بفتح السين في البقرة ، والأنفال ، و " الذين كفروا " وروى الدوري عن عبد الرحمن بن أبيزي أن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قرأ " السلم " في البقرة ، والأنفال ، ومحمد ، بنصب السين وبخفضة^(٢) . وقد ذكرت

(١) انظر : السبعة ص : ٣٠٨ ، معاني القرآن للأخفش ج ٢ / ٣٢٥ ، الكشف ج ١ / ٢٨٧ / ٤٩٤ ، والتيسير ص : ٩٦ ، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ج ٢ / ٤٢٢ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ج ١ / ٢٥٠ ، والكنز في القراءات العشر ص : ١٣٤ / ١٦٦ ، وتفسير البحر المحيط ج ٤ / ٥٠٩ ، والحجة لأبي علي الفارسي ج ٤ / ١٥٨ / ١٥٩ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ٨ / ٣٩ ، والدر المنثور ج ٥ / ٦٣١ ، والكشاف ج ٢ / ٢٣٣ ، وفتح القدير ج ٢ / ٣٠٧ ، وزاد المسير ج ٣ / ٣٧٦ ، والمحرد الوجيز ج ٢ / ٥٤٧ / ٥٤٨ .

(٢) انظر : الكشف ج ١ / ٢٨٧ ، ورواه الدوري في جزئه ص : ٧٦ / ٧٥ رقم ٢٤ قال : حدثنا الكسائي ، ثنا حرب بن مهران ، عن أبي راشد مولى عبد الرحمن بن أبيزي ، قال : كان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يقرأ هؤلاء إلا حرف " ادخلوا في السَّلْم " البقرة ٢٠٨ ، " وإن جنحوا للسلم " الأنفال

في سورة البقرة / الآية ٢٠٨ اختلاف القراء والتوجيهات اللغوية والنحوية وأثرها في تفسير الآية . وهما لغتان في الصلح . وقال الزجاج : السلم : الصلح والمسألة ، يقال : سلم ، وسلم ، وسلم في معنى واحد ، أي : إن مألوا إلى الصلح فجل إليه^(٣) . وقال الزمخشري : ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ ﴾ جنح له وإليه : إذا مال ، والسلم تؤنث تأنيث نقيضها وهى الحرب ، قال الشاعر :

٢٠ - السِّلْمُ تأخذ منها ما رَضِيتَ به

وَالْحَرْبُ يُكْفِيكَ مِنْ أَنْفَاسِهَا جُزْعٌ^(٤)

وقال الأخفش : فأنث السِّلْم وهو الصلح ، وهى لغة لأهل الحجاز ، ولغة العرب الكسر^(٥) .

٣٣ - قوله تعالى : ﴿ أَكُنْ خَفَّ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ﴾^(٦)

القراءة : اختلف القراء في ضم الضاد وفتحها من قوله ، جل وعز : ﴿ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ﴾ . فقرأ عاصم ، وحمزة ، وخلف بفتح الضاد وسكون العين في " ضَعْفًا " ووافقهم الأعمش بخلفه ، وكذلك شيبة ، وطلحة . وقرأ الباقر بضمها . فقد قرأ أهل المدينة ، وأبو عمرو ، والحريان ، والعريان ، والكسائي ،

٦١ / ، و" وتدعو إلى السلم " محمد / ٣٥ ، بتصب السين وتخفذه .

(٣) انظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج ج ٢ / ٤٢٢ .

(٤) انظر : الكشف ج ٢ / ٢٢٥ ، والبيت لعباس بن مرداس السلمى انظر : الخزانة ج ٤ / ١٨ ، والبحر

المحيط ج ٢ / ١٢٠ ، والدر المنصور ج ٣ / ٤٣٣ رقم ٢٤٦٠ .

(٥) انظر : معاني القرآن للأخفش ج ٢ / ٣٢٥ .

وابن عمرو ، والحسن ، والأعرج ، وابن القعقاع ، وقتادة ، وابن أبي إسحاق بضم الضاد وسكون العين ، وقرأ عيسى بن عمر " ضُعْفًا " بضم الضاد والعين ذكره النقاش^(٦) . وقد روي أن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قرأ بضم الضاد وسكون العين. فقد روى الحاكم في مستدركه فقال : أخبرنا الحسين بن الحسن بن أيوب ، ثنا أبو حاتم محمد بن إدريس الرازي ، ثنا سلام بن سليمان المدايني ، ثنا أبو عمرو بن العلاء ، عن نافع ، عن ابن عمر ، رضي الله عنهما ، أن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قرأ : ﴿ الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضُعْفًا ﴾ . رفع . وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه^(٧) . قلت : إسناده ضعيف ، لأن فيه سلام ابن سليمان المدائني نزل دمشق واه . قال أبو حاتم : ليس بالقوي ، وقال ابن عدي : منكر الحديث ، وقال العقيلي : في حديثه مناكير ، وقال ابن حجر متروك ، وقال ابن عدي : عامة ما يرويه حسان إلا أنه لا يتابع عليه . وقد وثقه النسائي^(٨) . وقال أبو البقاء في قوله تعالى : " ضُعْفًا " يقرأ بضم الضاد مع سكون

(٦) انظر : السبعة ص : ٣٠٨ / ٣٠٩ ، الكشف ج ١ / ٤٩٥ ، والنشر في القراءات العشر ج ٣ / ٩٢ ، وإتحاف فضلاء البشر ج ٢ / ٨٣ ، والحجة لأبي علي الفارسي ج ٤ / ١٦١ / ١٦٢ ، والتيسير ص : ٩٦ ، والكنز في القراءات العشر ص : ١٦٦ ، وتفسير البحر المحيط ج ٤ / ٥١٣ ، وتفسير الفخر الرازي ج ١٥ / ١٩٦ ، والكشاف ج ٢ / ٢٣٥ ، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ج ٢ / ٤٢٤ ، وزاد المسير ج ٣ / ٣٧٨ / ٣٧٩ ، والمحرم الوجيز ج ٢ / ٥٥١ .

(٧) أخرجه الحاكم في : كتاب التفسير ، باب قراءات النبي ، صلى الله عليه وسلم ، مما لم يخرجاه وقد صح سنده ج ٢ / ٢٣٩ ، وقال الذهبي : سلام بن سليمان نزل دمشق واه .

(٨) انظر ترجمته في : ميزان الاعتدال ج ٢ / ٣٦٨ / ٣٦٩ ، والضعفاء للعقيلي : ج ٢ / ١٦١ . وتقريب التهذيب ج ١ / ٣٤٢ .

العين، وهما لغتان ، ومنهم مَنْ يَضُمّ العينَ إتياعاً . ويقرأ " ضُعْفَاء " مثل عُلَمَاء ، وهو جمع . ويقرأ " ضُعْفَى " مثل مَرَضَى وهو ظاهر ^(٩) . وفي الكنز : قرأ عاصم ، وحمزة " ضُعْفًا " بفتح الضاد ، وكذلك المواضع الثلاثة التي في الروم ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ [سورة الروم / ٥٤] . وافقهما خلف هنا فقط ، الباقون بالضم . واختاره حفص في سورة الروم ، وقرأه أبو جعفر في هذه السورة بضم الضاد ، وتحريك العين ، ممدوداً ، مهموزاً ، من غير تنوين ، جمع ضعيف ^(١٠) .

التوجيه والتفسير : قال أبو علي الفارسي : قال سيبويه : قالوا : ضُعْفٌ ضُعْفًا ، وهو ضَعِيفٌ ، وقال أيضاً : قالوا : الْفَقْرُ ، كما قالوا : الضُّعْفُ ، وقالوا : الْفَقْرُ ، كما قالوا : الضُّعْفُ . فعلنا بذلك أنَّ كل واحدٍ من الضُّعْفِ والضُّعْفِ لُغَةٌ ، كما كان في الْفَقْرُ وَالْفَقْرُ كذلك . وقال الزمخشري : والمراد بالضعف : الضعف في البدن ، وقيل في البصيرة والاستقامة في الدين . وقال الزجاج : قرئت على ثلاثة أوجهٍ : قرئت ضُعْفًا بفتح الضاد ، وضُعْفًا بضم الضاد والمعنى واحد ، يقال : هو الضُّعْفُ والضُّعْفُ ، وَالْمَكْتُ وَالْمَكْتُ ، وَالْفَقْرُ وَالْفَقْرُ ، وباب فَعْلٍ وفُعْلٍ بمعنى واحد في اللغة كثير . وقرأ بعض الشيوخ : وعلم أن فيكم ضُعْفَاءَ على فُعْلَاءَ على جمع ضعيف . وضُعْفَاءَ لم يَصْرَفْ ولم يُنَوَّنْ لأن فُعْلَاءَ في آخرها ألف التانيث . وقال ابن جرير : وقراءة بعض المدنيين وبعض البصريين : " وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضُعْفًا " بضم الضاد في جميع القرآن وتنوين الضعف على المصدر من : ضُعْفُ الرجلُ ضُعْفًا . وقراءة عامة

(٩) انظر : إعراب القراءات الشواذ ج ١ / ٦٠٣ / ٦٠٤ .

(١٠) انظر : الكنز في القراءات العشر ص : ١٦٦ .

قراء الكوفيّين : " وعلم أن فيكم ضَعْفًا " بفتح الضاد على المصدر أيضاً من ضَعَف .
 وقرأ بعض المدنيّين " ضَعْفَاء " على تقدير فعلاء ، جُمِعَ ضعيف على ضَعْفَاء ، كما
 يجمع الشريك على شركاء ، والرحيم رُحماء . وأولى القراءات في ذلك بالصواب قراءة
 من قرأه " وعلم أن فيكم ضَعْفًا " ، و " ضَعْفًا " بفتح الضاد أو ضمّها ، لأنهما
 القراءتان المعروفتان ، وهما لغتان مشهورتان في كلام العرب فصيحتان ، بمعنى
 واحدٍ ، فبآيتهما قرأ القارئ فمُصِيب الصواب . أما قراءة من قرأ ذلك " ضعفاء " فإنها
 على قراءة القراء شاذة وإن كان لها مخرج في الصحة ، فلا أحبُّ لقارئ القراء بها^(١١) ،
 قلت : هذه القراءة قراءة أبي جعفر المدني ، أحد العشرة ، وهى متواترة . وقد تقدم
 ذكر هذه القراءة . وقال ابن عطية : قال أبو حاتم : من ضم الضاد جاز له ضم العين
 لغة ، وحكى الزهراوي عن أبي عمرو بن العلاء أنه قال : ضم الضاد لغة أهل
 الحجاز ، وفتحها لغة تميم ولا فرق بينهما في المعنى . وقال الثعالبي في كتاب فقه اللغة
 له : الضعف بفتح الضاد في العقل والرأي ، والضعف بضمها في الجسم . وقال ابن
 عطية : وهذا قول ترده القراءة ، وذكره أبو غالب بن التبانى غير منسوب ، وقرأ أبو
 جعفر بن القعقاع أيضاً " ضعفاء " بالجمع كظريف وظرفاء وحكاها النقاش عن ابن
 عباس^(١٢) .

(١١) انظر : الحجة لأبي علي الفارسي ج ٤ / ١٦٢ ، والكشف ج ١ / ٤٩٥ ، ومعاني القرآن وإعرابه
 للزجاج ج ٢ / ٤٢٤ ، والكشاف ج ٢ / ٢٣٥ ، وإعراب القراءات الشواذ ج ١ / ٦٠٣ / ٦٠٤ ،
 وجامع البيان عن تأويل أي القرآن ج ١٠ / ٥٤ ، وتفسير البحر المحيط ج ٤ / ٥١٣ ، وزاد المسير ج
 ٣ / ٣٧٨ / ٣٧٩ .

(١٢) انظر : المحرر الوجيز ج ٢ / ٥٥١ .

٣٤ - قوله تعالى : ﴿ مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَمْرٌ حَتَّى يَتُخَذَ فِي الْأَرْضِ

تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٧٧)

القراءة : اختلف القراء في الباء والتاء من قوله ، عز وجل : ﴿ مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ ﴾ . فقرأ أبو عمرو ، وأبو جعفر ، ويعقوب بالتاء ، لتأنيث لفظ الأسرى ، ووافقهم الحسن ، واليزيدي ، وقرأ الباقر وجمهور الناس بالياء ، على التذكير ، حملوه على تذكير لفظ " الأسرى " (١٣) ، وروى أن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قرأ بالتاء ، فقد روى الحاكم في مستدركه فقال : أخبرنا محبوب بن الحسن ، عن خالد الحذاء ، عن ابن سيرين ، عن أنس ، رضي الله عنه ، أن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قرأ " أن تكون له أسرى " وقال صحيح (١٤) . وقال الذهبي : صحيح . وقال محقق المستدرک : هذا الحديث من التلخيص ، وليس في الأصل ، لأن الحاكم لم يسمع من محبوب بن الحسن .

التوجيه والتفسير : وحجة من قرأ بالياء " يكون " فلأن الفعل متقدم ، والأسرى مذكرون في المعنى ، وقد وقع الفصل بين الفعل والفاعل ، وكل واحد من ذلك إذا انفرد يذكر الفعل معه ، يقال : جاء الرجال ، وحضر قبيلتك وحضر القاضي امرأة ، فإذا اجتمعت هذه الأشياء كان التذكير أولى . وقال أبو الحسن : التذكير أحب

(١٣) انظر : السبعة ص : ٣٠٩ ، والكشف ج ١ / ٤٩٥ ، والحجة لأبي علي الفارسي ج ٤ / ١٦٢ ، والتيسير ص : ٩٦ ، والكنز في القراءات العشر ص : ١٦٦ ، وإتحاف فضلاء البشر ج ٢ / ٨٣ ، وزاد المسير ج ٣ / ٣٨٠ ، والمحرم الوجيز ج ٢ / ٢٥٢ ، وتفسير البحر المحيط ج ٤ / ٥١٤ .

(١٤) أخرجه الحاكم في : كتاب التفسير ، باب قراءات النبي ، صلى الله عليه وسلم ، مما لم يخرجاه وقد صح سنده ج ٢ / ٢٣٩ / ٢٤٠ .

إِلَيَّ ، لَأَنَّ الْأَسْرَى فَعَلَ لِلرِّجَالِ ، وَلَيْسَ لِلنِّسَاءِ ، تَقُولُ : النِّسَاءُ يَفْعَلْنَ ، وَلَا تَقُولُ
 الْأَسْرَى يَفْعَلْنَ ، فَتَذَكِيرُ فَعْلِهِمْ أَحْسَنُ وَالتَّأْنِيثُ عَلَى الْمَجَازِ . وَحُجَّةٌ مِنْ قِرَاءَةِ بِالتَّاءِ
 "تَكُونُ" فَقَدْ أَنتَ عَلَى لَفْظِ الْأَسْرَى ، لِأَنَّ الْأَسْرَى وَإِنْ كَانَ الْمُرَادُ بِهِ التَّذَكِيرُ وَالرِّجَالُ
 فَهُوَ مُؤَنَّثُ اللَّفْظِ . وَمَعْنَى الْآيَةِ : يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ : مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُحْتَبِسَ كَافِرًا قَدْ رَ
 عَلَيْهِ وَصَارَ فِي يَدِهِ ، مِنْ عِبْدَةِ الْأَوْثَانِ لِلْفِدَاءِ أَوْ لِلْمَنْ ، وَالْأَسْرَى فِي كَلَامِ الْعَرَبِ :
 الْحَبْسُ ، يُقَالُ مِنْهُ : مَأْسُورٌ . يُرَادُ بِهِ : مَحْبُوسٌ . وَإِنَّمَا قَالَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ، لِنَبِيِّهِ ،
 مُحَمَّدٍ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يُعْرِفُهُ أَنْ قَتَلَ الْمُشْرِكِينَ الَّذِي أَسْرَهُمْ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ ، يَوْمَ بَدْرٍ ثُمَّ نَادَى بِهِمْ ، كَانَ أَوْلَى بِالصَّوَابِ مِنْ أَخْذِ الْفِدْيَةِ مِنْهُمْ
 وَإِطْلَاقِهِمْ^(١٥) .

(١٥) انظر : الحجة لأبي علي الفارسي ج ٤ / ١٦٢ / ١٦٣ ، والكشف ج ١ / ٤٩٥ ، والمحرر الوجيز ج
 ٢ / ٢٥٢ ، وزاد المسير ج ٣ / ٣٨٠ ، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ١١ / ٢٧٠ / ٢٧١ .